تفريغ محاضرة

أنـوار الـنـبـوة

رواء الاثنين | د. هند القحطاني

١٤٤١/٦/٩ هـ

من نحن ؟

نحن مجموعةٌ نهلنا من معين محاضرات د. هند بنت حسن القحطاني، التي هطلت بروائها على قلوب السامعين، ولما شهدنا ذلك الهطل غيثا مُغيثا مريئا، عملنا بكلّ جدٍ وحُبٍ على جمع المحتوى وتنظيمهِ ونشرهِ ليسيلَ عَذبًا إلى قلوبكم

نسعدُ بملاحظاتكم واستفساراتكم على البريد الإلكتروني:
info@rawaa.org

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضل له ومن يُضلِلْ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله

أما بعد:

سوف نتطرق اليوم لمجموعة أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لننهل من هديه ونحاول أن نسترشد بهداه، وهذه الأحاديث لا يجمع بينها جامع سوى ترتيب المؤلف، وقد جاءت هذه الأحاديث في كتاب:

(بدء الخلق وصفات المخلوقات وشمائل النبي عليه الصلاة والسلام).

خَلق إبليس:

قال عليه الصلاة والسلام:

" إنَّ إبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، .." (أخرجه مسلم، صحيح)

الجيش يتكون من سرايا فيكون في السرية عدد من الجنود ثلاثة أو عشرة جنود مثلًا، ولدى إبليس سرايا تذهب لنشر الفتنة وتعود لتخبر إبليس بإنجازاتها كم شخصًا فتنت وما المعصية التي حملتهم على ارتكابها، والمقربون من إبليس هم أعظمهم فتنة.

وكلما جاء أحدهم إلى إبليس يقول له فعلت كذا وكذا وجعلت فلانًا يفعل هذا الذنب، يقول له إبليس ما صنعتَ شيئًا، حتى يأتي أحدهم فيقول فرّقتُ بين فلان وأهلِه فيُدنِيه منه ويقول له نعم لقد فعلت، وهكذا الشيطان يُدني منه من **كسر** رابطةً فهو بهذا يكون قد هدم بيتًا فقد تغضب الزوجة فتُذنب، وكذا الزوج والأبناء، وهكذا تتضاعف الذنوب وتتفاقم بعكس الذنب الصغير الذي قد يتوب منه الإنسان.

إدراك درجة الصوام القوام بِحُسنِ الخُلُق:

قال عليه الصلاة والسلام:

«إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ» (أخرجه أبو داود، وقال الألباني: صحيح)

هذا من أكثر الأحاديث تكرارًا على مسامعنا، فالمسلم المُسَدَّد **يُدرك** درجة القوام الصوام بِحُسنِ خُلُقِه، فمنزلة الأخلاق في ديننا منزلة عظيمة جدًا، فحَسَنُ الخُلُق لا يُدرك منزلة الصائم فقط، بل كثير الصيام والقيام الذي يقوم الليل إلا قليلًا. والإنسان لا يمكن أن يكون **كاملا**، ومن يعتقد أنه كامل فهو في الحقيقة أنقص الناس، ولكن الإنسان في جهاد دائم ليُطيِّبَ نفسه ويكرمها بمكارم الأخلاق بهدف الوصول إلى الغاية الأسمى وهي **الفردوس** الأعلى، والطُرُقُ كثيرة،

فهناك طريق الصيام والقيام وهناك طريق مكارم الأخلاق وغيرها من الطرق.

ولذا يجب على الإنسان أن يحرص على حسن خلقه، وحسن تعامله مع الناس، فأحيانًا يكون لدى الإنسان الفرصة للرد على من أساء إليه بالمثل ولكن الأفضل أن يجاهد نفسه فلا ينزل لنفس مستوى المسيء، وهذا طبعًا ليس بالشيء السهل ولكن الإنسان يحاول باستمرار أن يرفع نفسه بأخلاقه.

تحريش الشيطان للمسلمين:

يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

«إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، .....» (أخرجه مسلم، صحيح.)

لقد أيِسَ الشيطان أن يعبده المصلون وعلِم أنه من المستحيل أن ينقلب المسلمون فيعبدوه، وقد تكون هناك استثناءات ولكن بشكل عام **يستحيل** أن يعبد المسلمون الشيطان، ولكن قد ينجح الشيطان في التحريش بين المسلمين، وهذا نراه في البيت **الواحد** أحيانًا فكل شخص يشتم الآخر أو يتهمه أو يعيب عليه،

ونرى هذا كثيرًا في برامج التواصل الاجتماعي
فنحن نتعارك فيما بيننا ونحن نعلم وعدونا يعلم أنه لن تقوم لنا قائمة طالما نحن متفرقين، والشيطان يعلم أن المسلمين لن يعبدوه ولكن له منفذا آخر وهو **التفرقة والتحريش** بينهم، ولذا نرى أحيانًا عائلة أو مجموعة أصدقاء يحافظون على الصلاة ويخافون الله فيأتي الشيطان فيحرش بينهم فهو يعلم أنه لا يستطيع قطع الأرحام بشكل مباشر فيقوم بالتحريش بينهم فيقول أحدهم ذاك تعمد إيذائي أو تجاهلي أو رمقني بنظرة، وأحيانًا تمر هذه المواقف دون أن نلاحظ حتى فإذا اختلينا بأنفسنا صورها لنا الشيطان وشدد عليها فهو يحاول
أن يُحزنك ويضيع وقتك بالتفكير في هذه الأمور فإذا بك يفوتك قيام الليل أو صلاة الفجر، وهكذا يعمل الشيطان بالتحريش بين المسلمين.

تقلُّب القلوب وحُب الله عز وجل:

يقول النبي عليه الصلاة والسلام:
«إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ يُقَلِّبُهَا» (أخرجه ابن ماجه، وقال الألباني: صحيح.)
ويقول النبي عليه الصلاة والسلام في حديث آخر:
«إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ» (أخرجه الترمذي، وقال الألباني: صحيح)
قلوب بني آدم كأنها قلبٌ **واحد**، فكل هذه القلوب التي تنبض على كوكب الأرض هي عند الله عز وجل لا تساوي شيئًا كأنها قلبٌ واحد يقلبها كيف شاء ويصرف كل قلب منها كيف شاء، وحين نقول أنها بين أصابع الله فهذا يعني أن يده تعالى لها أصابع ولا يمكن أن نتخيلها فيقول تعالى:**(... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ(11))** سورة الشورى،
لا تتشابه سوى في الاسم، ونحن هنا نتحدث عن
الله الذي ليس كمثله شيء.

وهنا نأتي لحديث آخر فيقول عليه الصلاة والسلام:

«أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا» (أخرجه الترمذي، وقال الألباني: صحيح.)

فإذا أحببت حبيبًا فأحبه **بالهون** ولا تندفع بمشاعرك وأحاسيسك فقد يأتي يومٌ ما فيصبح بغيضك، وإذا كرهت إنسانًا فلا تكُن سيئًا في **بغضك** له بل ابغض تصرفه السيء ولا تُسرِف في عداوتك له وبغضه، فقد يكون حبيبكَ يومًا ما، فلنتفكر للحظة في حياتنا،

كم شخصًا أخذتَ منهم موقفًا في الماضي أصبحوا مقربين منك **اليوم**؟

وكم شخصًا كان من أقرب الناس إليك دارت الدنيا فإذا به من أبعد الناس إليك؟

لماذا يا ترى؟

لأن لا شيء في هذه الدنيا **يدوم** إلا ما كان لله.

إذاً يقلب الله عز وجل القلوب، فلا شيء ثابت على وجه الأرض،

وهذا يعني أن نتخذ قراراتنا دائمًا للذي يدوم ونجعل رضى الله عز وجل نصب أعيُننا،

فلا نسعى لرضى الناس، ومَن مِن هؤلاء البشر حولك يستحق أن تُسخِط الله عز وجل لأجله إن كان هو عز وجل يقلب قلوبهم جميعًا كيف شاء، ومن هذا الحديث

نتعلم الاتزان في عواطفنا، وأن نسعى لرضى الله عز وجل دون أن نخشى أن يكرهنا أحدهم أو يحبنا أو يرضى عنا فقلوبنا جميعًا بيده،

وهنا نتذكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم:

" إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض"

(أخرجه البخاري، صحيح.)

فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

يقول النبي عليه الصلاة والسلام ولا زلنا في كتاب بدء الخلق:

" إن لله مَلَكًا أَعْطَاهُ اللَّهُ سَمعَ الْعِبَادِ كُلِّهِمْ وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يُصَلِّي عَلَيَّ صَلاةً إلا أَبْلَغَنِيهَا وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُصَلِّيَ عَلَيَّ أَحَدٌ إلا صَلَّى عَلَيْهِ عَشْرًا مِثْلَهَا وَإِنَّ اللَّهَ أَعْطَانِي ذَلِكَ"

(أخرجه الطوسي، وقال الألباني: حسن.)

وهذا مَلَكٌ أعطاه الله سمع العباد، فيسمعهم كلهم، وبكل صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يحصل الإنسان على صلاة من الله، فماذا تعني الصلاة من الله على **العبد**؟ تعني **الثناء**، فيُثني الله تعالى على العبد باسمه ورسمه بمجرد أن يُصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، وبأي نوع من أنواع الصلوات الابراهيمية أو العادية، فبمجرد أن يقول أحدهم

اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد يُصلِّي الله عليه عشرًا،

وهذا ما سأل النبي عليه الصلاة والسلام ربه فأعطاه، وهذا من أبواب الأجور التي يُفرّط بها الناس، ويجب علينا أن نحرص عليها **ونُكثِر** من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ففضل الصلاة عليه عظيم، وعندما قال الصحابي للنبي عليه الصلاة والسلام:

يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «مَا شِئْتَ». قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ: «إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ» (أخرجه الترمذي، وقال الألباني: حسن.)،

وماذا يتمنى الإنسان **أكثر من أن يُكفى همه ويُغفر ذنبه؟** فكم لدينا من الذنوب نسأل الله عز وجل أن يغفرها لنا، وهموم مستقبلية نخافها وأهداف في الحياة لا نعلم إن كنا نقدر عليها أم لا، فنسأل الله أن يعطينا التدبير ويدبر أمورنا ويكفينا هم التدبير، وكل هذا يحصل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

مفاتيح الخير ومغاليق الشر:

في الحديث: «**إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ، مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ**

«(أخرجه ابن ماجه، وقال الألباني: حسن.) ،

فلله عز وجل خزائن خير مفاتيحها هم أشخاص بيننا على كوكب الأرض، ويقول عليه الصلاة والسلام طوبى لمن جعله الله مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر، فمن الناس من هم مباركون يكتب الله أن تُفتَح أبواب الخير على أيديهم أينما كانوا، وكذا تُغلقُ أبواب الشر على أيديهم أينما كانوا، وهناك أشخاص غير موفقين يفتحون أبواب الشر بأفعالهم ويغلقون أبواب الخير، وحين تعلم أن الناس ما بين هذين الإثنين فيجب أن يكون لك **خيار**، فحين ترمي بفكرة خيرة في أحد المجالس ترى البعض يقوم بتطبيقها وهكذا تكون مفتاحًا للخير كأن يجتمعوا لحفظ سورة أو تفسير آية أو قراءة كتب السنة أو تدارس كتاب، وقد تسافر من بلدٍ إلى آخر وتنشر الخير فيهم،

أو بين أصدقائك حيث تجمعهم على الخير والأفكار الحسنة فتفتح لهم أبوب الخير وبكل باب خير تفتحه أنت تغلق بابًا للشر حين تُشغل وقتهم بالخير بدل أن كانوا سيقضونه في فراغ بلا فائدة أو في جمعات يكثر فيها **الكلام واللغو**،

فيجب أن نكون من الناس الذين يفكرون كل يوم بحيث لا تغرب الشمس إلا وقد أخذت أكبر قدر ممكن من الخير، فتسمع إحداهن عن برنامج أو درس فتحضره وتذوق حلاوته ثم تراها تتحدث عنه في كل مجلس وتدعو الناس للانضمام له وتشجعهم، فتخيلوا كم من الأجر حصلت بتوصيتها عليه، وكل واحدة تشترك في البرنامج بسببها يكون أجرها في ميزان حسناتها، وهنا نتذكر قول النبي عليه الصلاة والسلام **"لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا"** (أخرجه مسلم، صحيح.)،

فلا تترد في **خيرٍ** تعمله قبل موتك وتذكر أن يوم القيامة هناك كفتان للميزان، وحتى مثقال الذرة سوف نحتاجه، فتخيل أنك رأيت قطعةً من الطعام مرميةً على الأرض فأزلتها لِأَلَّا تُداس بالأرجل ولم يكُن أحدٌ يراك ولم تُلقِ لهذا العمل بالًا، ولكن هذا صيانة للنعمة وتعظيم لله عز وجل قد يكون هو الفاصل في ميزان حسناتك يوم القيامة،

فلا تحقر من المعروف شيئًا، كأن **تُغطي** إحداهن طرفًا من جلدها أو شعرها على أطراف الوجه، وتقول لن تقف الدنيا على هذا، بل تقف الدنيا على هذه الأمور التي نستحقرها أحيانًا، فنحن لا نعلم مهر الجنة الذي سندفعه ولا أي عمل خير نفعله قد ينقذنا من النار.

قلب المسلم:

يقول النبي عليه الصلاة والسلام تأكيدًا لهذا المفهوم إنما سمي القلب من تقلبه:

«مَثَلُ الْقَلْبِ مَثَلُ الرِّيشَةِ تُقَلِّبُهَا الرِّيَاحُ بِفَلَاةٍ» (أخرجه ابن ماجه، وقال الألباني: صحيح.)

فالقلب مثل الريشة على الشجرة تقلبها الريح ظهرًا لبطن، وفي هذا الحديث بشارة ونذارة.

فأما النذارة فهي أن الإنسان مهما وصل لمستوى عالٍ وظن أنه لا يمكن أن يتغير أو يميل عن طريق الحق، فهو لا يضمن ذلك،

وقد يظن أحدهم أنه تاب فمن المستحيل أن يعود للذنب فإذا به بعد سنة أو سنتين يعود فيريه الله في نفسه العجائب، وكم رأينا من هذه الأمثال من حولنا وفي أنفسنا، فقد يأتي يومٌ تجد أن ما كنت تراه معروفًا بالأمس أصبحت تراه منكرًا، وما كنت تراه منكرًا بالأمس أصبحت تراه معروفًا، ونرى هذا في الكثير من حولنا فهم يرون الخير شرًا والشر خيرًا،

فالبعض يرى أن **العفة** وغض البصر صفات معيبة تدل على انعدام المهارات الحياتية وتقف بين الإنسان وترقيته في المناصب وانعدام قدرته على التواصل مع الجنسين،

وكذا **الفتاة المستقيمة** نرى البعض يقول لها إنها لن تحصل على وظيفة وغير هذا الكلام، ولننتبه لأن القلوب تُقلّب ظهرًا لبطن أي تنقلب ١٨٠ درجة، ولذا لا يأمن الحَي الفتنة فقد ينقلب قلبه في أي لحظة، ولذا ينصح السلف الصالح بأن يقتدي الإنسان بمن مات على خير وصلاح لا بإنسانٍ حي لا نعلم إن كان سينقلب غدًا ولا نعلم كيف سيُختم له في آخر عمره.

وأما البشارة فهي ألا يختم الإنسان على نفسه بأنه لا يمكن أن يكون أفضل مما هو عليه اليوم، كأن يقول ليس لدي قوة بأس وأعرف أني لا أتحمل، ورغم أني أحب الصالحين إلا أني لا أقدر أن أكون منهم، فقد يأتي يومٌ يصبح فيه أفضل منهم، وقصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه دليلٌ على ذلك، فكان الصحابة يقولون والله لا يُسلم عمر حتى يُسلم حمار عمر، وبعد إسلامه قالوا رضوان الله عليهم مازلنا أعزة بعد إسلام عمر، ولم يقولوا هذا الكلام إلا مما كانوا يرون من شدته وقسوته وصلابته فظنوا أنه لا يمكن أن يتغير، ولم تكُن قصة إسلامه رهيبة فدخل على أخته فرآها تقرأ القرآن، فقال لها اقرئي عليّ شيئا من هذا القرآن فقرأت عليه سورة طه فدخلت قلبه، ولذا على الإنسان أن لا يحكم على نفسه بل يخطو ويعمل وعلى الله عز وجل الباقي.

المُسلم هو مَن يُرجَى خيرُه ويُؤمن شره:

يقول أبو هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَفَ عَلَى نَاسٍ جُلُوسٍ، فَقَالَ: **«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مِنْ شَرِّكُمْ؟» قَالَ: فَسَكَتُوا، فَقَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا بِخَيْرِنَا مِنْ شَرِّنَا، قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، وَشَرُّكُمْ مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ»** (أخرجه الترمذي، وقال الألباني: صحيح.)

كُنْ أنت هذا الإنسان **الخيِّر** الذي يُرجى منه الخير حتى في أسوأ المواقف يتوقعون منك الخير لا الإساءة والانتقام، ولذلك النبي عليه الصلاة والسلام في فتح مكة لما أتى لقريش الذين طردوه ومنعوه من العمرة وفعلوا به الأفاعيل حتى أجمعوا على اغتياله وتسييل دمه بين القبائل، قال لهم ما ترون أني فاعل بكم، فقالوا له أخٌ كريم وابن أخٍ كريم، يعني مثلك لا يُرجى شره يا رسول الله، فقال اذهبوا فأنتم الطلقاء، والطبيعي حين الانتصار في المعركة أن ينغمر الإنسان بنشوة ولذة الانتصار فنرى اليهود حين دخلوا القدس غاصت خيولهم ببرك دماء المسلمين، ولكن حين نتحدث عن الرسول عليه الصلاة والسلام فنحن نتحدث عمن يُرجى خيره ويُؤمن شره، فهكذا على الإنسان أن يكون، أن يُتوقع منه الصفح والعفو حين يُخطئ أحدهم في حقه أو يؤذيه، لا أن يكون ممن يعمل على إحباط الآخرين وتثبيطهم ولا يُتوقع منه إلا الشر.

يقول النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث:

" كُلُّ خَلْقِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَسَنٌ " (أخرجه أحمد، وقال الألباني: صحيح.)

من هذا الحديث نتعلم أن كل خلق الله حسن، ويجب أن يؤثر هذا على مفهومنا للجمال والرضى الداخلي، مالم يكُن في الإنسان عيب خلقي يحتاج إلى تدخل جراحي أو طبي،

فقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، فكل تفاصيله من أنفٍ وفمٍ وعينان كلها موزونة، فلا داعي للتأثر بكلام الآخرين حين **يشعرونك** بالنقص أو يحثونك على تغيير ملامحك، كأن تقول إحداهن للأخرى ألا تودين أن تقومي بنفخ شفتيكِ قليلًا أو تزيلي التجاعيد،

ومن السهل جدًا الانصياع لهم في حال انعدام الرضى الداخلي، والإنسان الذي لا يمتلك الرضى الداخلي يعيش حياته في شغل شاغل في اللحاق وراء رضى الناس وتقييمهم لمظهره، وكما ذكرنا سابقًا فالقلوب يقلبها الله عز وجل ولا يمكن أن يكون هذا مرهون بوجه أو ملامح،

ولا نغفل عن أن الله جميل يحب الجمال،

ولكن الجمال الذي لا يستدعي الإنسان لعمل ما يحرمه الله عز وجل، أو أن يقضي الإنسان حياته والجمال هو شغله الشاغل، فحين يرضى الإنسان ويقنع بجماله داخليًا سيكون قلبه متفرغا لأمور أخرى أهم في الحياة.

القرين:

يقول النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث

«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ» قَالُوا: وَإِيَّاكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ» (أخرجه مسلم، صحيح.)

وزاد في رواية أخرى: **«وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ»** (أخرجه مسلم، صحيح.)

هذا يعني أن لكلٍ منا قرين من الجن وقرين من الملائكة، وهذا غير المعقبات من بين يديه ومن خلفه، ومعرفتنا لهذا مهمة جدًا لكي نعرف أن أفعالنا تقوي أحد الطرفين، فمثلًا حين يَهُم أحدهم بالخروج من المنزل فما إن يقول دعاء الخروج حتى يتراجع الشيطان إلى الوراء هو ومجموعته ويقول لهم ليس عليكم سبيل كيف بكم بعبد قد هُدِي وكُفِي ووُقِي،

أو مثلًا إحداهن نامت على وضوء وقرأت أذكار النوم والمعوذات فلا تنقلب قلبة إلا والملك عند رأسها يدعو لها اللهم اغفر لها وارحمها، وهنا نرى الفرق بين من يتوضأ ويصلي وينام على وضوء ويقرأ الأذكار وبين من ينام **كجذع شجرة** ويقضي آخر لحظاته على الهاتف بدل أن يقرأ الأذكار ثم يستيقظ فيحرص على قهوته ويخرج على عجل وينسى الأذكار، فهذا يقوى عنده الشيطان **ويضعف** الملك بقلة ذكر الله عز وجل،

وهذان هما داعي الخير وداعي الشر المرافقان للإنسان طوال حياته حتى موته، فداعي **الشر** يوسوس للإنسان ويحاول بكل الطرق أن يكسر عزائمه على التقوى ويزين له الشر، ولذا يجب أن نذكر أنفسنا دائمًا في أي موقف نضعف فيه أننا يجب أن نكون في صف الملك لا في صف الشيطان، فالحياة عبارة عن **مواقف** والخيار لنا إما طريق اليمين وإما طريق الشمال.

لا يجتمع دينان في أرض العرب:

يقول النبي عليه الصلاة والسلام أو قال الصحابة كان آخر ما تكلم به يعني آخر الأشياء التي سمعوها من النبي عليه الصلاة والسلام قبل أن يموت:

"قاتَلَ اللهُ اليَهودَ والنَّصارَى؛ اتَّخَذوا قُبورَ أنبيائِهِم مَساجِدَ، لا يبقيَنَّ دِينانِ بأرض العَرَبِ".

(أخرجه البيهقي، وقال الألباني: صحيح.)

جاء هذا الحديث بأكثر من رواية، وفيه تمهيد لِألا يُعَظَّم قبر النبي صلى الله عليه وسلم كما فعلت اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم، فقد حرفوا دينهم وعبدوا عيسى ابن مريم وغالوا في أنبيائهم بدل عبادة الله عز وجل، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم مؤكِدًا لا يبقين دينان بأرض العرب، وأرض العرب هي الجزيرة العربية تشمل المملكة العربية السعودية والإمارات وقطر والكويت واليمن وإلى آخره، وهذه المنطقة التي هي قلب العالم لها أحكام تختلف عن أحكام العالم أجمع وعلى مر كل القرون السابقة لم تُبنَ فيها كنيسة أو معبد لغير المسلمين، فكلها مساجد يُعبد فيها الله عز وجل، فلا يجتمع دينان في أرض العرب لأنها أرض الإسلام، والعرب كانوا يعرفون دين إبراهيم ونحن نقول دين إبراهيم لأنه هو الذي بنى الكعبة،

أما اليهود والنصارى فلم يعرفوا جزيرة العرب بل كانوا على أطرافها في الشام وغيرها من بلدان الشمال، فلا يجتمع دينان في جزيرة العرب أي لا يجتمع بناء كنيسة ومسجد في أرض المسلمين، وحين فتح المسلمون الشام وبيزنطة وغيرها لم يهدموا كنائسهم لأن الأرض كان فيها نصارى منهم من أسلم ومنهم من لم يُسلم وكان هذا الأمر تابعا لهم، وهذا أمر مختلف عن أن تأتي لأرضك أرض الإسلام فترفع فيها الصليب وتبني مبنى يُسَب فيه الله عز وجل، ولذلك أوصى الرسول عليه الصلاة والسلام قبل أن يموت ألا **يجتمع** دينان في أرض العرب.

أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم:

التواضع:

قال النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث:

«آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا كَأْسًا» (أخرجه هنّاد السري في الزهد، وقال الألباني: صحيح.)

كان النبي صلى الله عليه ويسلم يجلس مع الصحابة على الأرض ويرفض الجلوس على الكرسي المرفوع الذي يدعونه للجلوس عليه، فكان الأعرابي إذا دخل قال: أيكم محمد؟

فهل تتخيل لأي درجة كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يتميز عن **الصحابة؟**

يقول: إنما آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد، فهل نرى رئيسًا هكذا في أي مكان؟ أي شخص يكون له منصب عالٍ يحرص أن يكون له مكتب كبير ويجلس فيه ليعرفه الناس ويُقدرونه، ولكن النبي عليه الصلاة وسلم عرف قدر هذه الدنيا، فلو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافر أو شرب كأس، لذا يجب علينا أن نتعلم صفة التواضع من النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا لا يعني أن يُذِل الإنسان نفسه ولكن ألا يتكبر على الناس، فيُقال: من نافسك في دنياك فألقها في رحله ومن نافسك في دينك فنافسه، فهي المنافسة الحقيقية في الدين، فالتنافس لا أن تنافس أحدهم ليكون عندك أكبر مكان أو أغلى شيء فهذا من التكاثر، كما قال الله عز وجل: **(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (2))** سورة التكاثر.

وهكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقًا،
وأجود الناس وأشجعهم وكان أشد حياءً من العذراء في خدرها، فقد كان إذا دخل عليه أصحابه عمر وأبو بكر يُنزل ثوبه إذا انكشف جزء من فخذه،
فإذًا **الحياء** لا يأتي إلا بالخير والكثير في أيامنا هذه يجهلون هذا ويحاولون كسر الحياء الذي في أنفسهم، والأصل هو أن يربي الإنسان نفسه على الحياء، ولذا يجب أن نحرص على أخلاقنا ونهذبها ونربيها لتكون أفضل، والرسول عليه الصلاة والسلام حينما كان يُعطي لم يكُن يُعطي عطاء البخيل، بل كان يُعطي عطاء الكريم رغم أنه لم يكُن يملكُ شيئًا
وكان يربط على بطنه الحجر من شدة الجوع،
ثم يأتي رجل فيطلب منه شيئا من الأغنام، ثم تأتي مجموعة أغنام من فتح البلدان، فيأتي الرجل فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم، أترى الشياه التي بين هذين الجبلين، هي لك كلها، قال الرجل أيهم يا رسول الله؟ قال كلهم، فرجع الرجل إلى قومه وقال يا قوم أسلموا فإن محمد يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، فيجب علينا أن ندرك أن الفقر والغنى أمور دنيوية لا تساوي شيئًا وهي من الأساس بيد الله عز وجل.

شُكر النعمة والامتنان:

قال صلى الله عليه وسلم:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ غَيْرَ مَكْفِيٍّ، وَلَا مُوَدَّعٍ، وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْهُ رَبَّنَا»

(أخرجه أبو داود، وقال الألباني: صحيح.)

كان صلى الله عليه ويسلم يقول هذا الدعاء إذا رُفِعت مائدته من أمامه، وهنا نرى الامتنان لله عز وجل والعلاقة بينه وبين الله عز وجل، فلم يكُن يكتفي بقول الحمد لله بل **يزيد** على ذلك، فيجب علينا أن نتعلم من رسولنا صلى الله عليه وسلم ونعود أبناءنا على هذا الامتنان.

"اللهم أطعمت وسقيت وأغنيت وأقنيت وهديت وأحييت، فلك الحمد على ما أعطيت "

فلنلاحظ الجمال في هذا الدعاء، أن نُرجِع الفضل لله عز وجل، فعندما يكون القلب متعلق بالله عز وجل يذكره ويشكره في كل وقت حتى عندما يشرب القهوة أو يأكل التمرة، ولذلك الشيخ ابن باز رحمة الله عليه كان يُسمي ويحمد في كل شربة فنجان فقالوا له هل هذا **واجب**؟ قال لا لا لكن أنا لا أملك نفسي، وهو معروف عن الشيخ ابن باز كثرة ذكره لله، فالإنسان أحيانًا يخرج من المرض فيتذوق الطعام من جديد أو يشم رائحته فيشعر بالنعمة ويحمد الله مع كل لقمة.

إظهار المشاعر:

وقد كان معروف عن الرسول صلى الله عليه وسلم إذا سُر استنار وجهه كأنه قطعة من القمر، ومن هنا نستفيد أن الإنسان يجب أن **يفرح** في لحظات السرور ويستشعر نعمة الله عليه، والمشاعر هذه لها تأثير كبير حتى على الناس من حولنا، ونرى البعض لا تبدو عليه المشاعر فلا يعرف الناس إن كان سعيدا أم حزينا، ونرى أنفسنا كيف تدخل السعادة إلى قلبنا بمجرد أن نرى وجهًا يشع **بالسعادة**، وهذا تأكيد لأهمية الرضى الداخلي والفرح غير المقرون بالآخرين، فكان النبي عليه الصلاة والسلام إذا أسلم أحدهم **يُسر** ويستنير وجهه، وكذلك لو رأى شيئًا لا يعجبه ولا يرضي الله عز وجل رؤي ذلك على وجهه، وهو عليه الصلاة والسلام لا يغضب لنفسه قط ولكن إذا انتُهِكَت محارم الله عز وجل، وكذلك نتذكر حينما أمر الله عز وجل الملائكة أن تُهلِك قريةً جاهرت بذنوبها قالت الملائكة يا رب فيهم فلان عبد صالح، فقال الله عز وجل عنه أنه لم يتمعر وجهه يومًا غضبًا لله، وهنا تنبيه لكل من يرى الذنوب من حوله فيقول المهم أني لا أُذنِب وليفعل كل شخص ما يعجبه ويرضيه، فاحذر من أن تكون في مكان يُعصَى فيه الله عز وجل ولا يرجف قلبك أو تخشى الله وأنت جالس في هذا المكان،

قال تعالى في الآية:

(لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (79))

سورة المائدة.

وتفسير هذه الآية أنهم كانوا لا يتناهون عن منكرٍ فعلوه، فيفعلون المنكر ثم يأتون فيجالسونهم ولا ينكرون عليهم وكأنه شيء عادي أن يفعلوا المنكر والفسق والفجور، وهذا أمر خطير فمن **يتعايش** مع المنكر والذنب والمعصية يستحق العقوبة، ولذلك من شمائل ا لنبي صلى الله عليه وسلم أنه إذا كره شيئا عُرِف ذلك في وجهه، فكان يُعرَفُ غضبه حينما يرى المنكر.

الاتزان والثقة:

وكان من شمائله عليه الصلاة والسلام أنه إذا مشى لم يلتفت، وهذا درس لنا أنه إذا عزمنا على شيء لا نلتفت للوراء، فالرسول عليه الصلاة والسلام لم يكُن مهزوزًا ولم يكُن ضعيفًا فلا يلتفت للوراء كأنه يخاف من شيء، فإذا خرج بهدف الذهاب إلى مكان يمشي إليه دون أن يلتفت، فأحيانًا نرى البعض يمشي فإذا به يلتفت للوراء وكأن فيه نوعًا من عدم الاستقرار أو عدم التوازن، وهذا ليس في مشيته فقط بل ترى حياته كلها فيها شيء من عدم الاتزان، لذا يجب أن نُقدِم على الأمور دون خوف وتردد ونمشي باتزان دون أن نلتفت في قلق.

ونختم بما كان يفعله النبي عليه الصلاة والسلام
كان يُكثِر الذكر ويُقل اللغو ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة وكان لا يأنف يعني لا يستنكف
من شيء ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يقضي له حاجته،
فهذه **شمائل** النبي عليه الصلاة والسلام فلم يكُن كثير الكلام وكان كلامه
فصلًا يعد أي بالكاد يعدون كلامه، وكان إذا قال الكلمة كررها ثلاثًا
لِتُحفَظَ عنه وكان يُكثِر الذكر فيقول في المجلس الواحد
أستغفر الله سبعون إلى مائة مرة ويُطيل الصلاة
لأنها أهم شيء في اليوم فيجب أن نجاهد أنفسنا
أن نجود القرآن في الصلاة ونخشع فيها.

وهكذا كان هديه صلى الله عليه وسلم،
أسأل الله أن يحشرنا في زمرته وأن يجعلنا في صحبته ومن أوائل من يدخل الجنة معه وأن يغفر لنا ويرحمنا وأن يعفو عنا ويشفي مرضانا ومرضى المسلمين.
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

*تنويه: مادة المحاضرة جُمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها.